اليتيم

للشاعر العراقي الاستاذ أحمد الصافي النجفي

مترجم رباعيات الخيام

أودى الردى بأبيه قبل فطامه ... فحسا المذلة فى حليب المرضع
مستسلم والرعب يملأ قلبه ... إذ لم يجد عند الأذى من مفزع
فتراه يلعب فى الزقاق وطالما ... من صحبه يمنى بضرب موجع
فيجيء يشكو ضاربيه لأمه ... فتجيب شكواه بجارى الأدمع
فيقول أين أبى ؟ فتدعو غائب ... فيقول غاب ! فما له لم يرجع ؟
فتظل واجمة وليس تجيبه ... إلا بزفرة قلبها المتوجع

***

ولربما وجد الحنان من امرىء ... فدعاه أنت أبى وكنت مضيعى
أبتاه خذنى واشر لى دراجة ... أعدو بها عدو النشيط المسرع
وائأرمن الأطفال لى واضربهم ... وليتقونى إن رأوك أبى معى
ويظل يلثم ركبتيه توسلا ... متمسكا فى ذيله بتضرع
فيجيبه هذا بثغر باسم ... وعيونه تهمى كسحب همع
ويقول سوف أجيء بيتك فى غد ... ويمد نحو الطفل كف مودع

***

لهفى لطفل لا يزال يعيش فى ... أمل بكف الحادثات مضعضع
ولقد يقول له الصغار بأنه ... قد مات عنه أبوه قبل وما يعى
فيجيء يركض كى يسائل أمه ... والنار فيه تشب بين الأضلع
فتكذب الأم الحنون مقالهم ... وتقول لاتجزع ولا تتفجع

***

ولكم يرى الأطفال مع آبائهم ... متمتعين بهم وأى تمتع
يشرون ماتهواه أنفسهم لهم ... والطفل إن يأمر أباه يسمع
فيغار منهم ثم يركض خلفهم ... لكنه إن يدن منهم يردع
فيظل يرمقهم بطرف دامع ... ويعود منهم فى حشى متقطع

ويعود للصبر الجميل لأنه ألف الشقا وبسعدهم لم يطمع

***

متذلل لم يدر علة ذله أو مر وطأة سره المتجمع
تعيي الرجال عن الخطوب وحملها كيف احتمال الخطب للمترعرع
ترنو الأنام له بعين تعطف لا فى عيون تودد وتولع
حتى الكرام ترى اليتيم لديهم يبدو بلا سبب بقدر أوضع
ولقد تراه إلى يتيم جالسا متفاهمين بروح ذل مخضع
متباعدين عن الصغار كأنما حسبا هم نسلا لجنس أرفع

***

أما إذا افترقا فكل منهما يدنو لهم خوف انفراد مفزع
لكن تراه كالغريب أمامهم يرنو لهم كالسائح المتطلع
وإذا أراد الاشتراك بلعبهم لم يلق منهم غير سب مقذع
ولكم يرى لعبا لدى مستودع فيردد الزفرات للمستودع
لعب تمنى لو يطيق شراءها ليعيد بهجة قلبه المتصدع
فيطوف فى الأسواق ثم يعود فى قلب على اللعب الصغار موزع

***

ولربما ركب العصا دراجة ليسد رغبته بوهم مقنع
ولقد تخيط الأم أثوابا له فصلن من ثوبى أبيه الأروع
أو قصرتها من طويل قبائه أو ضيقتها من رداه أوسع

***

يزهو الصغار بزاهيات ثيابهم ويلوح ذا من برده بمرقع
ويروم أن يخفى حياه مكابرا فيدير فيهم نظرة المترفع
يروى لهم ما حدثته أمه عن برد والده الذكى الألمعى
ويقول كان الثوب هذا خلعة لأبى حباه بها مليك لوذعى
والصحب تهزأ فيه غير كثيبة منه لقلب فى الحياة ملوع

***

ليت الصغار جميعهم لم يعرفوا آباءهم وربوا معا فى موضع
كى لا يصيب اليتم بعضا منهم فيعيش عيشة بائس متسكع